الأمن الثقافي كدعامة أساسية لبناء أمن المجتمعات الإنسانية
قراءة في الأمن الهوياتي العربي

Cultural security as a key pillar for building the security of human societies Read in Security My Arab Identities

وفاء عمران *AMRANE Wafa*

جامعة لونيسي علي-البليدة 2، amranewafa14@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/03 **تاريخ القبول:** 2023/03/03 **تاريخ النشر:** 2023/04/01

ملخص:

يعاني الواقع العربي في طابعه العام من مخاطر متعددة ومتشعبة ومتشابكة تهدد أمنه الثقافي، فإلى جانب أن الثقافة في وطننا العربي تتكبد الهجمات و محاولات التسلل من التيارات المعادية فإنها إضافة إلى ذلك تعاني الضعف والقصور على مستوى بناء الهوية والشخصية الإسلامية والحفاظ عليها، وخاصة ما تعلق بلسانهم العربي الفصيح ولغتهم الأم، لغة القرآن، ولذلك جراء هذا اللاوعي بقدر هذا الزلل تخرق أولى دعائم الأمن الثقافي والهوية العربية بالمساس بأبجديات وأساسيات ومبادئ الخطاب الثقافي. إن البقاء قيمة أساسية للأمن الوطني، حيث تضمحل الدولة متى ما فقدت هويتها، فالهوية كذلك نسبة لأمن المجتمعات التي لا تقوم لها قائمة في غياب أو ضياع هويتها التي تمثل خزان ذكرياتها وضميرها الجمعي، وإذا كان الأفراد يعرفون بانتمائهم للمجموعة، تتحدد هوية المجتمعات بمضمون الهوية الجماعية نفسها.

الكلمات المفتاحية : *الأمن ؛ الأمن المجتمعي؛ الأمن الثقافي؛ الهوية ؛ الأمن الهوياتي .*

Abstract:

The Arab reality suffers from multiple threats to its cultural security. Besides the fact that culture in our Arab homeland incurs attacks and attempts to infiltrate hostile currents, it suffers from weakness and inadequacy in the construction and preservation of Islamic identity and personality. Especially those related to their eloquent Arabic tongue and their mother tongue, the language of the Koran and the result of this unconscious misstep violate the first pillars of cultural security and Arab identity.Survival is a fundamental value of national security, where the State diminishes whenever it loses its identity. Identity is also a proportion of the security of societies that do not exist in the absence or loss of their identity. If individuals know that they belong to the group, the communities' identity is determined by the content of the collective identity itself.

Keywords: *Security ; Community Security ; Cultural Security ; Identity ; Identity Security.*

* المؤلف المرسل: وفاء عمران، amranewafa14@gmail.com

مقدمة:

منذ وجوده على وجه الأرض واجه الإنسان تحديات متباينة الأشكال والأنواع ودرجات الخطورة إما للبقاء أو الانقراض، ومن المفارقة أن هذه التهديدات كانت السبب الأقوى في تحسين الإنسان لعناصر حياته ومكانته على المعمورة، وسعيا وراء زيادة مسوغات السيطرة على البيئة الطبيبة والاجتماعية المنتمي إليها وإخضاعها رغبة في إشباع حاجاته الأمنية، استمر الإنسان في ذلك مواجها صعوبات الحياة ومتطلباتها سواء كانت هذه المصادمة على مستوى وجوده كفرد أو في إطار بقائه اجتماعيا.

يركز الأمن المجتمعي على ضرورة تكريس شروط الأمن الثقافي للناس أفراد و جماعات، بداية من تقوية البعد الثقافي لحقوق الإنسان وصون الكرامة الثقافية من خلال ضمان استمرار التمتع الفعلي بالحقوق الجماعية وبالأخص حقوق الأقليات، وتمكينها من حقها في الهوية الثقافية، هذا ما يخلق توازن فعلي بين الخصوصية اللغوية، الدينية أو الإثنية و لما كانت اللغة هي وعاء الفكر، وملمح التنشئة الاجتماعية ومظهرها والوجه الآخر للثقافة، فإننا نبحث عن العلاقة التلازمية بين اللغة والأمن الثقافي.

الإشكالية :

ما هي العلاقة التلازمية التي تجمع اللغة العربية والأمن الثقافي؟ وكيف يمكن للمجتمع المحافظ على لغته وأصالته الحفاظ على أمنه المجتمعي ووجوده في ظل عصر اللاحدود ؟

1- مفهوم الأمن:

يعتبر عالم السياسة "**باري بوزان**" واحد من كبار المنظرين للأمن في فترة ما بعد الحرب الباردة، بفضل إسهاماته في ميدان الدراسات الأمنية والعلاقات الدولية على حد سواء كما ساهم في محاولة توسيع مفهوم الأمن ضمن مدرسة كوبنهاجن وأبحاثها في السلام؛ إذ يرى أن الأمن يعني العمل على التحرر من التهديد، وفي سياق النظام الدولي فإنه يعني قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل، وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي يرونها معادية، فالحد الأدنى للأمن هو البقاء لكنه يتضمن أيضا إلى حد معقول سلسلة من الاهتمامات الجوهرية حول شروط حماية هذا الوجود(buzan,2011, P.122) .

وشهد مفهوم الأمن في تطوره مرحلتين فاصلتين: الأولى ندعوها بالتقليصية، وتميزت باختزاله في الدولة كموضوع مرجعي، وفي البعد العسكري كقطاع للتحليل، والثانية ندعوها بالتوسعية وتميزت بتوسع المفهوم عموديا نحو الجماعات والأفراد، وأفقيا نحو القطاعات الاقتصادية والسياسية والمجتمعية والبيئية (عطوات شنين، 2020، ص .230).

إن ارتباط مفهوم الأمن بالدولة يقتضي التركيز على أربعة عناصر أساسية وهي كالآتي:

- تحديد المصالح والغايات والقيم التي تسعى الدولة أو المجتمع إلى تحقيقها وحمايتها.
- تحديد التحديات التي تواجه الدولة أو الأمة.
- رسم السياسات وتحديد الأدوات واتخاذ الخطوات اللازمة لتحقيق المصالح ومواجهة الأخطار المحتملة.
- بناء المؤسسات القادرة على تنفيذ هذه السياسات، وتحقيق هذه المتطلبات يقتضي وجود سلطة سياسة تملك حق الحسم والتوجيه وتعبئة الموارد (الشهراني، 2006، ص .15)

2- مفهوم الأمن المجتمعي:

إن البقاء قيمة أساسية للأمن الوطني، حيث تضمحل الدولة متى ما فقدت هويتها، فالهوية كذلك نسبة لأمن المجتمعات التي لا تقوم لها قائمة في غياب أو ضياع هويتها التي تمثل خزان ذكرياتها وضميرها الجمعي، وإذا كان الأفراد يعرفون بانتمائهم للمجموعة، تتحدد هوية المجتمعات بمضمون الهوية الجماعية نفسها؛ إذ قال بن خلدون في مقدمته:" إن أمن الجماعة المسلمة في دار الإسلام، وصيانة النظام العام الذي نستمتع في ظله بالأمان، ونزاول نشاط الخير في طمأنينة، فذلك كله ضروري، وأمن الأفراد لا يتحقق إلا به" (بن خلدون، المقدمة ، ص.286)

تعتبر نهاية الحرب الباردة مرحلة مهمة حيث شهد العالم تحولات عميقة أفرزت تهديدات أمنية جديدة وخطيرة، كالإرهاب الدولي، الجريمة المنظمة، الهجرة غير الشرعية و هكذا انتقل الصراع من دولي إلى صراع داخلي على اثر هذه التغييرات برز مفهوم الأمن المجتمعي في إطار الدراسات الأمنية والذي يعني تحديد شكل الذي تهدد فيه مكونات المجتمع بشكل الذي يدفعه إلى صدام داخلي وذلك يعرف الأمن المجتمعي بأنه قدرة مجتمع ما الثبات على سيماته الأساسية في مواجهة الظروف المتغيرة والتهديدات المحتملة أو الحقيقية حسب "**أولي وايبفر**" (أمحمدي، دت، صفحة 67) .

ويرتبط الأمن المجتمعي حسب الباحث البريطاني "**باري بوزان**" بالتنمية المستدامة لمختلف الأنماط والقوالب التقليدية الأولية للغة والثقافة، الدين والهويات الوطنية والعادات والتقاليد (علاق، دت، ص .104)، وأما الأمن المجتمعي من منظور الأمن البشري فيقصد به تحقيق الخصوصيات دون تهميش أو اضطهاد من خلال تساوي الفرص بين المرأة والرجل، وخلق آليات لمنع إقصاء الذات، وكذلك محاولة تعزيز المناعة المجتمعية ضد كل حركيات إضعاف التجانس (برقوق، 2012، ص 08) .

كما يعد رمزي معنوي مكرس لمفهوم الأنا ضد الآخر الأنا المرتبط بالجنس الذكر والمرأة، داخل مجموعة أقليات دينية أو لغوية أو عرقية وتكريس التجانس الذي يقوم على :

- فكرة الاضطهاد الجنسي للمرأة على حساب الذكر.
- فكرة التهميش دون اضطهاد على حساب الأقليات.
- شعور الفرد بانتمائه للجماعة والمجتمع، سواء كانت أسرة أو مجتمع محلي، أو منظمة أو جماعة عنصرية أو عرقية، يمكن أن توفر لأعضائها هوية ثقافية ومجموعة قيم تطمئنهم وهذه الجماعة توفر المساندة العملية له.(برنامج الأمم المتحدة الإنمائي،1994، ص.31).

يركز الأمن المجتمعي على الحفاظ على أي اختلاف كل جماعة ثقافية، اجتماعية أو عرقية، عن المجموعات الأخرى، وهذا من خلال ضمان احترام الآخر، مع ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية بين مختلف الجماعات، وهذا يكون مرتبطا بتحقيق فكرة التضامن الاجتماعي وما يتطلبه من وئام أو على الأقل في السعي للتغلب على التنافر على مستوى الأفراد أو الجماعات (خرموش، 2018، ص .89) .

ومفهوم الأمن المجتمعي في الإسلام يستوعب كل شيء مادي ومعنوي، فهو حق للجميع أفرادا وجماعات، مسلمين وغير مسلمين محتويا على مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض المطلوب شرعا المحافظة عليها (البطة، دت، ص ص .748-749). ولتحقيق مشاعر الطمأنينة والاستقرار المجتمعي لابد من توفر ثلاث أدوار رئيسية هي (المعموي، 2020):

- **الدور الوقائي:** اتخاذ عدد من التدابير من شأنها الحيلولة دون الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي، وإشاعة الطمأنينة في نفوس الأفراد، والحيلولة دون وقوع الجريمة.
- **الدور القمعي:** قيام أجهزة العدالة الجنائية للتصدي لكل من تسول له نفسه الخروج على قواعد الضبط الاجتماعي وتقديمه للعدالة حتى ينال جزاء ما اقترف من ذنب طبقا للقواعد والأنظمة والقوانين.
- الدور العلاجي: التصدي للمشاكل الأمنية والحد من آثارها السيئة، عن طريق تأهيل المجرمين حتى يعودوا إلى مجتمعهم مرة أخرى.

3- مفهوم الأمن الثقافي:

الأمن الثقافي تعبير جديد ظهر في بلادنا في أوائل السبعينيات من القرن الماضي ثم شاع تداوله حتى عقد عام 1973 مؤتمر تحت شعار (الأمن الثقافي) على مستوى وزراء الثقافة العرب في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم، ويعد الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي، ولعله أهمها، لأنه يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشخصية القومية، ولا شك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود .

والأمن الثقافي يعد نوعا من الأمن الذي يحقق الحفاظ على الذاتية الثقافية في مواجهة الهيمنة على الشخصية القومية، كذلك الحفاظ عليها من التيارات الثقافية المختلفة مع حماية جميع المؤسسات الثقافية من الانجراف مع الثقافات الأخرى. كما يشير مفهوم الأمن الثقافي إلى المحافظة على مقومات الثقافة و تأصيلها وتطويرها لتساير مستجدات العصر وتحولاته، حتى يمكننا ذلك من الحوار المثمر و الخلاق والمبدع مع الآخر. وهو الشعور الذاتي بالانتماء القومي والذي يخلق اطمئنانا للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمة واحدة، فهو يمكن في المحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة(أبعاد الأمن الثقافي).

ونعني بالأمن الثقافي الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة الأجنبية المشبوهة وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج (عاصي، سياد، 2015، ص .369). ويمكن أن يتحدد مقصدنا بالأمن الثقافي في حماية العقل العربي من المؤثرات الأجنبية الضارة، وحفظ هذا العقل أن يطال بواسطة إملاءات خارجية، وتأمين خبرته الثقافية الأصيلة من التشويش والتضليل (النجيري، 1991، ص .16) .

أما من وجهة النظر الإسلامية فإن الأمن الثقافي وفق ما يحدده الشرع الإسلامي يكتسب أهمية خاصة تكمن في عدد من الاعتبارات وهي ما يصطلح عليه بالكليات الخمس، وتضم كل منها جانبا من جوانب الحياة واجبة الرعاية وهو بمثابة قواعد رئيسية تقوم عليها الحياة العامة للبشر، وفي مجملها تشكل وعاءً قيميا لأحوال الأمن، الذي تنشده المجتمعات شاملة الفرد والأسرة والجماعات على مر العصور والحضارات التي تتغير فيها المفاهيم، قد سبق الإسلام قبل خمس عشر قرنا القوانين الوضعية للعصر الحديث، حيث جاءت تشريعاته متوافقة مع فهم الوظيفة الأساسية لمعنى الأمن صيانة للكليات الخمس وهي:" الدين، النفس، المال، العرض والعقل" (عاصي، سياد، 2015، ص.374)

ويهمنا في هذا الموضع، أمن العقل وهو تعبير لحفظ العقل الذي يتمتع به الإنسان ويميزه عن باقي خلق الله، وهو مناط التكليف الإنساني الذي به نتفكر ومحل التفريق بين الخير والشر ليبني أعمدة العلم

والفكر والثقافة (عاصي، سياد، 2015). ويمكن القول أن الأمن الثقافي يعد نوعا من الأمن الذي يحقق الحفاظ على الذاتية الثقافية وعلى مقومات الثقافة وتأصيلها وتطويرها لتساير مستجدات العصر.

4- **استقراء واستدلال مفهوم الأمن الثقافي من مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي :**

إن مالك بن نبي تعرض لمفهوم الثقافة في أكثر من مؤلف له من زوايا متباينة واقترابات عابرة التخصصات، لهذا فتضييق مفهوم الثقافة وبذلك تحديد معنى الأمن الثقافي عند مالك يُحتم علينا منهجا وتحليلا ابسيتولوجيا في عرضه نوجزه على النحو الآتي :

- **أولا : الأمن الثقافي من البعد الاجتماعي:** بن نبي لم يتفق مع التعريف التاريخي للثقافة التي كانت تعبر عن مجموع ثمرات الفكر في الفن والفلسفة والعلم والقانون، ودعت الحتمية إلى تصور تعريف جديدا لها. فتجاوز هذا المعنى الكلاسيكي من أعمال أدبية، ليضم في رحابته واقعا اجتماعيا يتجاوز هو أيضا حدود أوروبا، ليحمل بصورة عامة طابع العبقرية الإنسانية (بن نبي 2015، ص .27). و كذلك أخذ منحى مغاير لمفهوم الثقافة للمدرسة الغربية التي ترى أنها ثمرة الفكر أي ثمرة الإنسان، والمدرسة الغربية التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع (بن نبي 2015، ص .29) .

فقد أخذ مالك موقفا متوسطا متكاملا بين المدرستين وأضاف على ما جاء به "رالف لنتون" مستوى أبعد للثقافة باعتبار أن "لنتون " قَسَمَ الثقافة على مستوى مجال العموميات والتي تشمل الدين واللغة والتقاليد التي تعد المنوال الأساسي الذي يحدد نوع العقلية الخاصة بالنموذج الاجتماعي ومستوى الأفكار الخاصة عن التخصص الثقافي التي على أساسها تكون التفرقة بين الطبقات الاجتماعية. وبن نبي يضيف أن هناك تطورا في ثقافة مجتمع معين في مجوعها وهناك نمو في مواريثه التاريخية وهي حركة ناتجة عن الأفكار الجديدة وعن التنظيم الصناعي، وعن النظريات المستحدثة والمخترعات والمكتشفات في الميدان السياسي، والميدان الاجتماعي، والميدان الاقتصادي وهو الإطار الثقافي الذي يحوط المستويين السابقين ويؤثر فيهما (بن نبي، 2015، ص .31)

والشاهد من هذا التعريف أن مالك بن نبي يقدم مفهوم **الأمن الثقافي** ببعده الاجتماعي على **المستوى الكلي** فهو المحقق لأمن خصوصيات المجتمع سواء الدينية العقدية، اللغوية، العادات والتقاليد، الأفكار الفردية (ثمرة الإنسان فقط)، وكذا الأفكار الاجتماعية والنظريات وكل ما هو جديد ويخدم المجتمع في السياسة والاجتماع والاقتصاد (ثمرة المجتمع)، دون أن يغفل مالك إلى التنويه أن الأمن الثقافي داخل المجتمع لا يلزم القطيعة مع الثقافات المختلفة خارجه بل يدعوا إلى تبادل المؤثرات الثقافية والإفادة من التراث العالمي فيما يخدم الأمن المجتمعي وهو ما اصطلح عليه بالامتصاص **والامتداد الثقافي.**

- **ثانيا: الأمن الثقافي من البعد التاريخي:** سعى بن نبي إلى استقراء التاريخ بحثا عن مدلول للثقافة يتوفر فيه شرطين هما الفهم وإمكانية التطبيق (لعميري، 2014، ص .29). ويقول في ذلك :"إنه لمن أوليات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيق، ولذلك يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع" (بن نبي، د.ت، ص .85)، كما أكد أن الثقافة في التاريخ تتعدى العلم الذي يكتسبه الإنسان إلى محيطه وكل ما يتحرك بداخله واعتبر الثقافة الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر وهدا الأخير هو وليد التاريخ.

بهذا التفسير خلق بن نبي مفهوما للثقافة جمع حيزا مشتركا لأصحاب التاريخ الواحد والجغرافيا الواحدة، حتى وإن تباينت مستوياتهم العلمية ودرجاتهم التعليمية وقدم مثال ذلك أن الطبيب وراعي الغنم في المجتمع الإنجليزي لديهما الثقافة نفسها اتجاه قضية ما، بما أنهما ينتميان إلى التاريخ ذاته والأرض ذاتها، وعلى عكس ذلك بالنسبة للطبيب الانجليزي والطبيب العربي وإن كانت لديهما نفس المؤهلات وارتادا نفس الجامعات ولكن شتان بين ثقافتهما، وبهذا المفهوم فإن بن نبي يرى أن **الأمن الثقافي أوسع و أشمل من الأمن المعرفي.**

- **ثالثا: الأمن الثقافي من البعد التربوي:** ينظر بن نبي إلى الثقافة بوصفها منهاجا للتربية يتيح إعادة بناء الشخصية لتسهم بفاعلية في بناء الحضارة (بودقزدام، 2015، ص .157) ، يقول في ذلك :" إذا حاولنا أن نحدد الثقافة بمعناها التربوي، فيجب أن نوضح هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق، فأما الهدف فيتمثل في أن الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، وعلى الأخص إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية " (بن نبي، 2015، ص. 77)؛ وهكذا تتجلى التربية باعتبارها التجسيد العملي للمثل الثقافية للمجتمع على طريق بناء المجتمع التاريخي المتحضر، كما تصبح الثقافة مصدر إلهام للتربية بحكم أنها هي التي تضفي دلالة تاريخية على الفعل التربوي ذاته (نقيب، 2017، ص .209).

إذا يتضح أن الحضارة كمُثل ثقافية تنبثق من المنظومة الثقافية للمجتمع، والتربية كأداة لتجسيد هذه المثل تصبح في حالة علاقة عضوية لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر، وبالفعل فإن مالكا يتفق مع كثير من العلماء الذين ينظرون إلى التربية على أنها عملية تثقيف، بمعنى تمثل نفسي لعناصر المنظومة الثقافية ونقلها عبر الأجيال قصد ضمان استمرار المجتمع في التاريخ (نقيب، 2017، ص .210). ومنه يمكن أن نخلص إلى أن التربية تعتبر أداة فعالة وقوية في تجسيد الأمن الثقافي و تربطهما علاقة التأثير و التأثر فبالمقابل فإن الأمن الثقافي يرسخ القواعد التربوية في المجتمع ويعززها.

- **رابعا: الأمن الثقافي كمشروع مجتمع كلي ذو أبعاد جزئية وظيفية (أخلاقية، جمالية، عملية، صناعية)**

حاول مالك بن نبي أن يجيب عن سؤال :كيف نطبق الثقافة ؟ أو كيف يكون للثقافة واقع فعلي في حياتنا فخلص إلى التركيب النفسي للثقافة وجعل منها معادلة المجموع من التوجيه الأخلاقي، والتوجيه الجمالي، والمنطق العملي، والتوجيه الفني تبين بمجموعها مركزية البعد الوظيفي المنتظر منها فالثقافة هي الرابطة الأخلاقية و الجمالية والعقلية والتقنية التي تربط أفراد المجتمع (السعد، ص .112). والثقافة في بعدها الوظيفي لها ارتباط وثيق بالفاعلية، وهذا لأنها تقوم بتحويل الفرد من كونه ذو نزعة فردية إلى شخصية اجتماعية، أي إلى بذرة حضارية قادرة على التفاعل المثمر، ومنها يبدأ فعل التغيير الاجتماعي. إذا وبعلاقة متعدية يمكن أن نخلص أن الأمن الثقافي حسب التركيب النفسي للثقافة الذي طرحه مالك فهو مجموعة تركيب الأمن الأخلاقي+ الأمن الجمالي+الأمن العملي+ الأمن الصناعي (الثقافة = التوجيه الأخلاقي+ التوجيه الجمالي+ المنطق العملي+ التوجيه الصناعي) وبالتالي (الأمن الثقافي=الأمن الأخلاقي+ الأمن الجمالي+ الأمن العملي+ الأمن الصناعي)، ويمكن أن نشرحهم في إيجاز على النحو الآتي :

- **الأمن الأخلاقي**:"لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الاجتماعية، وليس المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية، بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يرد تكوين وحدة

تاريخية"(نبي، 2015، ص .79)، نفهم بأن الأخلاق تعتبر مرادفا لعمليات تكوين الروابط بين الأفراد في المجتمع بذلك دمج المصلحة الفردية في المصلحة العامة، أي أن الأمن الأخلاقي وهو سلامة وحماية الأخلاق وتوجيهها من التغريب أو الاندثار أو الطمس والتلاعب هذا لا يكون إلا بالحفاظ على أمن الفكرة الدينية في نفس الفرد وفكره.

- **الأمن الجمالي**: وهو المحافظة على السمة الجمالية والذوق الفني والقدرة على الابتكار والإبداع في مناحي المجتمع، وبعث الإحسان في الفكر والعبادة والعمل، مع المحافظة والتوازن مع متطلبات الأمن الأخلاقي والانتماء العقدي، لأن الجمال عند الغرب ليس بالضرورة هو الذوق الجمالي عندنا بل قد يعارضه.

- **الأمن العملي**: يرى بن نبي أن الذي ينقص الإنسان المسلم ليس منطق الفكرة إنما منطق الحركة والعمل، تحقيق الأمن العملي بالعمل في ذاته ونبذ الكسل والخمول فالأحرى على المسلم أن يكون رائد أفعال لا ماضغ أقوال. وهذا بتحقيق الفاعلية في العمل.

- **الأمن الصناعي"الفني"** : وهنا لم يعنِ مالك بن نبي بالصناعة مفهومها الضيق المعروف عند العام والخاص بل كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة (بن نبي، 2015، ص .88)، فتشمل بذلك كل الوسائل الفنية التي تكسب الفرد والمجتمع القدرة على تحقيق مهام اجتماعية ومستلزمات معيشية في إطار فن صناعي يجسده العمل المستمد من العلم التخصصي الذي يشمل فن الراعي كما يشمل فن العالِم على السواء (بن نبي، د.ت، ص .114).

إن ما يقصده بن نبي بلغة واقعنا أن كل نشاط يقوم به الإنسان يوميا بحيث يمارسه كمهنه لابد أن يحظى بالأهمية والمتابعة من الجهات المعينة مهما كانت بساطة النشاط، هنا يصح لنا القول أن مالك يقصد بهذا الجزء من تركيب الثقافة هو تحقيق الأمن الاقتصادي الذي يضمن التخلص من تبعية الاقتصادية للغرب، وإذا كانت الصناعة بهذا المعنى وسيلة لكسب القوت للفرد فأنها وسيلة المحافظة على كيان المجتمع واستمراره و هو غاية الأمن الثقافي. بعد هذا الاستقراء لماهية الأمن الثقافي في الطرح البنبوي (نسبة لبن نبي) فإننا نخلص أن مالك بن بني أسس لنظريته في الثقافة على مفهوم الأمن الثقافي حتى وإن لم يلفظ الكلمة بعينها إلا أنه حققها بمعناها.

5- ثنائية اللغة العربية و الأمن الثقافي:

اللغة نظام لحفظ التراث الثقافي، حيث تعد اللغة طريقا للحضارة و تمكن الإنسان من حفظ ثقافته وتفكيره عبر الأجيال، هذا و قد جمعت هذه المميزات في لغة القرآن الكريم حيث رسخت الهوية الثقافية العربية فهي التي احتضنت تراثنا العقلي والثقافي، إذ تعد اللغة العربية من العناصر التي تشكل الثقافة العربية الأعمق أثرا، من أن يتم تجنيبها أو إزاحتها إلى الحد الذي تفقد فيه كامل طاقتها وفاعليتها، لأنها راسخة البنيان ومستمرة وممتدة في الزمان و المكان.

في هذا الصدد ناقش مالك بن نبي وظيفة الثقافة في مقال كتبه بعنوان اللغة والثقافة وبين فيه أن وظيفتها تنحصر في فعل تصدي لجانبين: الأول استخدام اللهجات المحلية، والثاني التشويه في التعريب، حقيقة إن مالك تناول الجانبين وأدلى برأيه فيهما، فمثلا أنه نظر في قضية اللهجات وتأمل مليا في الدعوات الساعية إلى استخدام اللهجات في التعامل الفكري، وأن تكون وسائل حديث وكتابة وتخاطب وكما أنه تصدى لقضية

التشويه في التعريب ومن ثم تشاغل ذهنيا بقضية النقل الفكري من ثقافات الأخر، وما رافق ذلك من ظهور نزعات العداء للغة العربية (الفرحان، 2014، ص .81) وهو بوادر الأزمة الثقافية.

إن العناية باللغة وحسن استخدامها و توسيع المعرفة بها مسألة تساعد على تقويم التفكير فكلما كان تعبير أمة عن نفسها دقيقا اقتربت من الحقيقة و تلافت النقص، وعالجت الخلل الناتج عن الرمزية في التعبير والشبحية في نقل صورة التي تدور داخل النفس البشرية، فالتحرر الفكري مربوط بالتحرر اللغوي ثم إذا تحرر الإنسان فكريا أصبح قادرا على الاختيار والمناقشة وملك وعيا يستطيع الموازنة بين تراثه الذي يمثل ذاكرته وواقعه بما فيه من تغيرات و تجدد (السعدي، 2016، ص ص .151-152).

فاللغة نتاج اجتماعي، تمثل التجارب المتراكمة والراهنة، والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي، والتفكير ومعرفة الذات، ومعرفة الآخرين وهي لذلك ضرورية للوجود الاجتماعي. أما عن صلتها بالتراث الثقافي فتعتبر جزء منه ومعبرة عنه في نفس الوقت، وذلك أن الأصوات التلقائية تتحول في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل إلى آخر (عيسات، 2000-2001).

ويؤكد بن نبي على الدور التاريخي الفعال للغة العربية حتى في البيئة الجاهلية ويعبر بقول الأستاذ محمود شاكر " كان حين أنزل الله القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم نورا يضيء ظلمات الجاهلية، ويعكف أهله على بيانه عكوف الوثني للصنم، ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط، فقد كانوا عبدة البيان، قبل أن يكونوا عبدة الأوثان، وقد سمعنا من استخف منهم بأوثانهم، ولم نسمع قط منهم من استخف ببيانهم" (بن نبي، ص .61) هذه صورة الظروف النفسية التي نزل فيها القرآن، فكان الإعجاز يشع في الفؤاد دون أي عاتق وهذا يوافق ملكة الذوق البياني.

غير أن المسلم المعاصر فقد ملكة الذوق البياني، وليس بوسعه أن يتذوق الإعجاز القرآني بوسائل علمية ومن هذه النقطة، تواجهنا إشكالية الإعجاز في صورته الجديدة، خصوصا بالنسبة للمثقفين ثقافة أجنبية في ظروفهم النفسية الحالية، وهذا يفرض علينا إعادة النظر في المشكلة مع مراعاة الظروف الجديدة التي يمر بها مسلم اليوم مع متطلباته الروحية العقائدية (ياشوش، 2017، ص .71).

6- أمراض لغوية تهدد الأمن الثقافي:

- **ضعف أداء اللغة العربية:** إن الانتشار الواسع للعاميات في الحياة الثقافية والإعلامية والأدبية والفنية، يعد مشكلة خطيرة، لأنها تعكس سياسة ممنهجة لفتح المجال أمام العاميات وما هي إلا وسيلة لتقسيم العالم العربي فلكل بلد عربي عاميته بل لكل إقليم جغرافي في البلد الواحد لهجات مختلفة.
- **الازدواجية اللغوية:** يقدم لنا بن نبي مثال عن اللغة وكيفية تطبع الإنسان للواقع الذي يعيش فيه بقوله :"منذ عدة أيام، كنت في أحد مكاتب البريد أتحدث إلى موظف جالس وراء النافذة باللغة العربية وكان في كل مرة يجيبني باللغة الفرنسية، لن أقول هنا كل انطباعاتي حول هذا الحوار أمام نافذة رسمية، إذ يمكن أن نوجزها في كلمة واحدة أتمنى على الإدارة الجزائرية أن تعتني اعتناء أكثر بالعلاقات العامة لديها، هذا التمني لا يقتصر على الموظف البسيط القابع وراء نافذته، بل يتعدى ذلك إلى الموظف المحترم الجالس وراء مكتبه الوقور، ولا يتعلق الأمر هنا بخلل في طريقة التعامل، فقد بدا لي الأمر أشد شذوذا لأن هذا الرجل الذي

كان يضم أدنى من وراء نافذته بفرنسيته الركيكة كان قد توجه بالحديث لتوه إلى أحد زملائه ببعض كلمات عربية سليمة " (بن نبي، دت، ص .42).

ففي موضوع ازدواجية اللغة نجد مالك بن نبي يربط اللغة بالثقافة ربطا إشكاليا ينسجم تماما مع رؤيته للثقافة كمشكلة، وفيه يخلص إلى القول "بأن الانشقاق الذي أدخلته ازدواجية اللغة في العالم الثقافي للبلد الإسلامي، ليس فقط ذا طابع جمالي بل هو ذو طابع أخلاقي وفلسفي " (بن نبي، دت، ص .39) .

- **تكديس لغات الآخر ونكران لغة الذات:** وهو ما نراه من استعمال العربي – وخاصة العربيات - للغات الآخر لا من حيث الاكتساب المهارات اللغوية واستعمالها في العلم والعمل وإنما على أساس أنها لغات الرفاه الاجتماعي والتعبير عن الثقافة والتطور، فعلى سبيل المثال لا الحصر صارت المحالات التجارية والكتابات على الملابس وغيرها تأخذ أسماء أجنبية ومعاني لغوية غربية غريبة عن مجتمعنا العربي المسلم.
- **العجز عن التكيف مع متطلبات الواقع:** إن أخطر ما يمكن أن تبتلي به اللغة العربية هو العجز عن التكييف مع متطلبات الحياة والتقصير في الاستجابة للحاجات المتجددة، والمطلوب الآن مواجهة التحدي بالإقبال على تسهيل عملية التجاوب الوظيفي والعملي أمامها.
- **الفخر والمديح:** يُعرف على الخطاب العربي عموما نعرة الفخر والتمجيد بالألفاظ المنمقة والفخمة وهو مرض وجد فيه الاستعمار مدخلا للاستثمار السياسي وهو يتعامل مع الأمراء والملوك وعلى ذلك كان يرى بعض المستعمرين أنه لا خير في حرية الصحافة في الوطن العربي ظنا منهم أن العربي إذا تكلم شعر أنه أدى واجبه، وعليه حين تفرغ الكلمة من مضامينها تغدو اللغة مجرد تهتهة تبتعد بالإنسان والمجتمع عن الواقع فتجهض بذلك كل ضروب المبادرات (حامد، 2014، ص .310).
- **الاشتغال الزائد بعلم الكلام**: لم يتجاوز مالك بن نبي آفة التغني بالكلام والمبالغة فيه فالملاحظ أن مثقفي العرب يجيدون فن الكلام وتنظيمه أكثر من العمل وتفعيله حتى بات الثراء اللفظي للغة أداة وهمية تعكس مردودا سلبيا علة نشاط المجتمع.

7- استراتيجية بناء الأمن الثقافي :

- **التنمية الثقافية:** وهي التغير التقدمي الذي تزيد الثقافة بمقتضاها كما وكيفا، ويمكن تعريفها على أنها المنهجية التي تستوعب كل منتجات المجتمع لتحوله في النهاية إلى أنشطة فكرية واجتماعية يتم ممارستها في المجتمع ويتفاعل منها الأفراد بأساليب متفاوتة بحيث تكون في النهاية عنصرا أساسيا في تحديث إدراكهم لواقعهم الاجتماعي، وتعتبر ضرورة لبناء الاجتماعي فمن خلالها تتغير المسارات الاجتماعية نحو الأفضل (زموري، 2014، ص .149)، وهو المشروع الذي سعى لتحقيقه مالك بن نبي بتجسيد الثقافة كبرنامج اجتماعي تربوي خلاق.
- **ترسيخ مكونات الهوية الثقافية للمجتمع و الاعتزاز بالذات الثقافية:** تعد اللغة المكون الجوهري من مكونات الثقافة، فأهم ما يميز المجتمع العربي عن سواه هو لغته التي بها صاغ أسلوبه تجاربه، وتشكلت شخصيته وفكره .
- **التحرر من التبعية الثقافية والغزو الثقافي :** لأنها الحلقة الأولى في جر التبعيات الاقتصادية والسياسية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتخلص من التبعية اللغوية وهذا يتم برد الاعتبار للغة الوطنية المشتركة والموحدة على جميع المستويات ابتداء من الخطابات السياسية الرسمية والمعاملات الاقتصادية الدولية نزولا إلى مناهج تعليم المدارس الابتدائية.

- **الأمن اللغوي:** عنصر أساسي من تشكيلة الأمن الثقافي وشرط ضروري لقيامه ويتحقق هذا الأخير انطلاقا من :

- التنمية اللغوية وهي عملية واعية هادفة إلى إحداث تغييرات لغوية محدودة ومنشودة وتتم تنمية اللغة الوطنية إما معنويا بالاعتزاز بها وترسيخ مكانتها في المجتمع وتربية الأجيال على حبها واحترامها وماديا بخدمتها والنهوض بها وتطويرها بإثراء معجمها وتطير مناهج تعليمها وطرق تدرسها وتعميم استعمالها في كل المجالات.
- حماية اللغة العربية مما يهددها داخليا وخارجيا لأنها تواجه حملة ضارية تهدف إلى إضعافها والتشكيك في قدراتها وفي أهميتها، وتسعى إلى تنحيتها والقضاء عليها ومزاحمتها بلغات أجنبية أو لهجات عرقية.
- تنقية اللغة العربية مما يشوبها من مفردات أجنبية لحقت بها بفعل العولمة وذلك باستبدال الألفاظ الدخيلة بما يوافق المعنى من الكلمات العربية أو تعريبها أو ترجمتها.
- التخلص من ترهات وأوهام صعوبة تعلم اللغة العربية في عقول أبنائها وفي أذهان العقل الآخر.
- إحياء الدور الاجتماعي والتربوي للغة: لكي نعود باللغة إلى سالف خدمتها كأداة تربوية تحدث التغيير وتؤثر في النفوس، وجب أن نولي بعدها الاجتماعي والإنساني أهميته، فتوجه مضامينها سلوك الفرد وتصبح اللغة بالضرورة واقعا اجتماعيا حيا يتفاعل فيه العلم والسلوك والواقع تفاعلا ايجابيا يدفع إلى الإبداع والابتكار (حامد، 2014، ص.308)

الخاتمة:

إن الأمن مفهوم ديناميكي متغير وليس بالمعلم الثابت التمكن والحياز، وقد تحققه الأمم في فترة وتفقده في أخرى،كما أنه متعدد الأبعاد العسكرية والاقتصادية والسياسية والبيئية والثقافية. هذا، ويعتبر الأمن المجتمعي أهم القطاعات عند المنظرين الموسعين إذ يتعلق بقدرة المجتمعات على إنتاج أنماط خصوصيتها في اللغة، الثقافة، الهوية الوطنية والمعتقدات الدينية والتقاليد الموروثة في إطار تكييفها مع التطورات الزمنية من جهة والحد من التهديدات والتجاوزات التي تؤثر في أنماط هوية المجتمعات وثقافتها. لذلك فإن إثارة مفهوم الأمن المجتمعي الذي يمثل أحد القطاعات المرتبطة بالتنمية المستدامة لمختلف الأنماط كاللغة والثقافة والمعتقدات والدين والهويات الوطنية وأبرزها خطورة تلك المتعلقة بالتحام الأمة والدفاع عن الأمن المجتمعي خاصة ما تعلق بتأثير مخلفات العولمة الغربية.

من جهة أخرى، يعتبر الأمن الثقافي واحدا من أهم جوانب الأمن القومي والدفاع عن الهوية الثقافية لا يقل أهمية عن الدفاع عن جغرافيا الأرض، إذ أصبح الأمن الثقافي للوطن العربي يعتبر ضرورة استراتيجية ملحة لضمان بقاء هذه الأمة متماسكة في وجه الغزو الثقافي، لأن المجتمع المهزوم في انتمائه والمستضعف في هويته الوطنية والمولوع بتقليد ثقافة الغالب يصعب عليه الاستقلال التام وتحقيق النماء، فالثقافة قوة ناعمة إذا لم تستحسن المجتمعات استخدامها استخدمت ضدها، ولأن الأمن الثقافي هو أمن العقل وأمن العقل العربي يتحقق بأمن لسانه (لغته) وجب تثمين اللغة العربية وتفعيلها من أجل البناء الثقافي والتجديد الحضاري لأن المسألة اللغوية في العالم العربي اليوم تتخبط بين مطرقة المخلفات التاريخية، وسندان العولمة والتحولات الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أمحمدي، فاطمة. (دت)، سسيولوجيا الهجرة غري الشرعية: دراسة تحليلية ضمن قطاع الأمن المجتمعي، المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية.

2) النجيري محمود محمود ، (1991)، الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل ، الرياض : دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

3) السعد نورة خالد، (دت)، نظرية التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي .

4) السعدي، الهادي محمد. (2016)، الفكر الديني عند مالك بن نبي، الجزائر: الدار العثمانية.

5) الشهراني، محمد سعيد آل عياش.(2006)، أثر العولمة على مفهوم الأمن الوطني، الرياض ، جاممعة نايف العربية للعلوم الأمنة .

6) الشمري، غازي، ياشوش، جعفر .(2017)، مالك بن نبي بين التمثل والإبداع،ط1،دمشق: دار نينوى.

7) البطة، محمد علي اسماعيل. (دت)، الأمن المجتمعي ودلالاته المعاصرة في ظل المواطنة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية،مجلد7، ع32 .

8) المعموي، على . سيماء https://bit.ly/40dcBmH اطلع عليه، سا:12:00، يوم 02-10-2022

9)بودقزدام ،عمران . (2015)، التجديد في المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ، الجزائر: دار الهدى).

10) بن نبي، مالك. (2015)، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط18،دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

11) بن نبي مالك . (دت)،أفاق جزائرية، تر: الطيب الشريف ، دط، مكتبة النهضة الجزائرية.

12) بن نبي، مالك. (دت)، شروط النهضة، تر:عمر كامل مسقاوي، ط1، بيروت: دار الفكر.

13) بن نبي، مالك. (دت)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، بيروت: دار الفكر .

14) برقوق، محند.(2012)، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3.

15) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي1994، تقرير التنمية البشرية، الولايات المتحدة الأمريكية : نيويورك.

16) زموري، زينب.(مارس 2014)، ماهية التنمية الثقافية دراسة تحليلية، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، ع 14.

17) حامد، عزيز . (2014)،التربية و بناء الحضارة في فكر مالك بن نبي، تونس: مجموع الأطرش للكتاب المختص،

18) لعميري، لويزة. (2014)،نظرية الثقافة عند مالك بن نبي دراسة تحليلية نقدية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو، كلية الآداب واللغات.

19) نقيب، عمر. (2017)، مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي، ط3، الجزائر: مؤسسة الأصالة.

20) عيسات، عبد القادر .(2000-2001)، التربية والثقافة عند كل من مالك بن ني وجون ديوي دراسة مقارنة في إطار نظرية قانون الحاجة التاريخية الحضارية، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة ماجستير بقسم علم النفس و علوم التربية جامعة الجزائر .

21) عطوات، عبد النور، شنين، عبد الهادي.(2020)، بناء الأمن في المجتمع المتعدد قراءة معرفية في مفهوم الأمن المجتمعي وتجليات على ضوء صحيفة المدينة، مجلة دراسات اجتماعية، م04،ع02.

22) علاق، جميلة. (دت)، الأمن المجتمعي: مقاربة في المفهوم العناصر، مجلة البحوث السياسية والإدارية، ع10

23) عاصي، حسين حمود.(أيلول 2015)، سهاد عادل أحمد ، أثر الثقافة الموجهة على أمن وهوية المجتمع العراقي، مجلة الفراهيدي ، ع 23.

24) خرموش، اسمهان. (جوان 2018)، "الأمن المجتمعي مدخل لبناء الأمن الإنساني"، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا، ع.04

25) buzan barry,(2011), ole waever and jaap de wilde security a new framework for analysis.